﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾ [التكوير: 15 - 21]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

إثباتُ أنّ القرآن الكريم مِن عند ربّ العالمين، وصدقُ جميع أخباره

لمّا ساق ﷻ ما ساق مِن أحوالٍ تدُلُّ على شدائدِ يوم القيامة؛ أتْبَع ذلك ببيان أنّ هذا القرآن مِن عنده تعالى، وأنَّ الرسول ﷺ صادقٌ فيما يُبَلِّغُه عن ربه تعالى، فقال سبحانه: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾... ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾؛ وجاء ذلك تقريرًا لِصدق ما ذَكَر قبل ذلك مِن أحداث، وتأكيدًا على وقوعها، وانتزاعًا لكلِّ شكٍّ في صِدْقه مِن نفوسهم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِٱلۡخُنَّسِ﴾: (خنس) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على استخفاءٍ وتَستُّرٍ، قالوا: الخَنْس الذَّهاب في خفية، يقال: خنِسَت عنه، وأخنست عنه حقَّه، والخُنَّس: النجوم تَخنِس في المغيب، وقال قوم: سُمّيت بذلك؛ لأنها تَخْفَى نهارًا، وتَطلُع ليلًا، ويقال: هي الكواكب السّيارةُ منها دون الثابتة، والخَنّاس مِن صفة الشيطان؛ لأنَّه يَخنِس إذا ذُكر الله تعالى[2]، وقال الفرّاء في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾: إنها النجوم الخمسة: زُحَل، والمشترى، والمريخ، والزهرة، وعطارد؛ لأنَّها تخنِس في مجراها وتكنِس، أي تستتر كما تكنس الظباء في المغار، وهي الكِناس، ويقال: سُمّيت خُنَّسًا لتأخُّرها؛ لأنَّها الكواكبُ المتحيِّرة التي ترجع، وتستقيم[3].

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 300.
(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (خنس).
(3) الجوهري، الصحاح: (خنس).

2) ﴿ٱلۡجَوَارِ﴾: (جري) أصلٌ يدلُّ على انتقالٍ بحركةٍ خفيفةٍ سريعةٍ مسترسِلةٍ متَّصلةٍ كَسَيلان الماء والدم وكجريان الفرس، وجَرَت الشمسُ وسائر النجوم: سارت من المشرق إلى المغرب، وكذا السفينة والرياح - وكلُّها فيه خِفّة الحركة - قال تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ [البقرة: 25]، ﴿وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ [البقرة: 164]، ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: 38]، ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي﴾ [ص: 36]. ومعنى قوله تعالى: ﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾: الكواكب الخمسة الدراري، والآية تصلُح لكلِّ الكواكب[1].

3) ﴿ٱلۡكُنَّسِ﴾: (كنس) أصلان صحيحان، أحدُهما يَدلُّ على سَفْرِ شيءٍ عن وجه شيء، وهو كَشْفُه، والأصل الآخر يدلُّ على استخفاء. فالأول: كَنْس البيت، وهو سَفْر التراب عن وجْه أرضه، والمِكنَسة: آلة الكنس، والكُناسة: ما يُكْنَس، فالكَنْس: تنحية ما انتشر على وجه المكان، وإبعادُه وتغييبه[2]، والأصل الآخر: الكِناسُ: بيتُ الظَّبْي، والكانِس: الظبيُ يَدخل كِناسَه، و﴿ٱلۡكُنَّسِ﴾: الكواكب تكنِس في بروجها، كما تَدخل الظباء في كِناسها، قال أبو عبيدة: تكنس في المغيب[3].

4) ﴿عَسۡعَسَ﴾: (عسس) أصلٌ يدُلُّ على نفاذٍ في الكثيف، أو منه مع صعوبة، تقول: عسَّ يعُسُّ عسًّا وعَسَسًا؛ فهو عاسٌّ إذا طاف بالليل، يحرس النّاسَ، ويكشف أهل الريبة، وعسعس الذئب، أي: طاف بالليل، وعسعست السّحابة؛ إذا دنت من الأرض ليلًا، ويقال أيضًا: عَسْعَسَ الليلُ؛ إذا أقبل ظلامه، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾: إذا أقبل، أو إذا أدبر، أي: بدأ ظلامه مختلطًا ببقية الضوء، أو بدأ رحيلة، فاخترق ظلامَه أوائلُ الضوء[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُقسِم سبحانه ببعض عظائم خلقه، وهو هنا حركة الكواكب الدُّرّية؛ إذ تتردّد في حركتها بين التَّواري والاختفاء، والظهور والتجلّي، خلال جريانها في رحلتها ضمن

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (جري).
(2) طبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (كنس).
(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (كنس).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عسس).

منظومة كونه العظيم ﷻ، كأنها الظباء تهرب إلى كنسه، وغيرها من المخلوقات البرية تتوارى في مخابئها هربًا من الناس، ثم تخرج.

ويُقْسِم بالليل حين يُقبل، ويدبر، فيخفت الضوء: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾، وكذلك بالنهار حين ينتشر ضوؤه، وتتحرك المخلوقات، وتنتشر في رحلة تحصيل معايشها ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾.

اللـه تعـالى يمنح أولياءه القوة على حمل أعباء الأمانة وتوصيلها إلى أهلها

يقسم الله تعالى بكل ذلك على صِدق القرآن الكريم، وأنّ القرآن الكريم قول جبريل عليه السلام الذي حمله من عند الله تعالى إلى الرسول ﷺ، فهو أمين وحي السماء إلى الأرض، والله تعالى قد منحه قوة شديدة يقوم بمقتضاها بأداء الوحي على الوجه الأكمل، وأنه كريم على ربه تعالى، مطاعٌ بين الملائكة الكرام في السماء، وأنه أمينٌ في نقل الوحي وإيصال رسالة القرآن، كما حُمِّلَها بلا تزيُّد ولا انتقاص.

أو يقسم تعالى على صدق هذا القرآن الكريم، وأنه قول الرسول ﷺ بوصفه حاملًا له إلى الناس، وأنه ﷺ كريم على ربه، وقد منحه ﷻ القوة على حمل أعباء الرسالة وتوصيلها إلى الناس، وأنه عند ربه ذو مكانة، وأنه مطاع في الملأ الأعلى، موصوف بالأمانة فلا يَزيد في الرسالة شيئًا، ولا يُنقِص منها شيئًا.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الفاء)، ودلالة (لا) في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾:

(الفاء) في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾ فصيحةٌ، مؤذنة بمحذوف، والتقدير: إذا كان الأمر كما ذكرتُ لكم مِن أن البعث حقٌّ، فأُقسِم بالنجوم التي تَخنس بالنهار... إن هذا القرآن لقولُ رسول كريم[1].

الفاء الفصيحة عُنصر إيجاز مهمّ في توثيق عُرى التراكيب

ويصحُّ كذلك أن تكون (الفاء) لتفريع القَسَم وجوابِه على الكلام

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 301.

السابق؛ للإشارة إلى ما تقدّم من الكلام، وهو بمنزلة التمهيد لِما بعد (الفاء)؛ فإن الكلام السابق أفاد تحقيقَ وقوع البعث والجزاء، وهم قد أنكروه، وكَذَّبوا القرآن الذي أنذرهم به، فلما قضى حقَّ الإنذار به، وذَكَر أشراطه؛ فرّع عنه تصديق القرآن الذي أنذرهم به، وأنه موحًى به مِن عند الله تعالى؛ فالتفريع هنا تفريعُ معنًى وتفريع ذِكرٍ معًا، وقد جاء تفريعُ القَسَم لمجرد تفريع ذِكر كلامٍ على كلام آخر كقول زهير:

فأقسمتُ بالبيت الذي طاف حوله *** رجالٌ بَنَوْه مِن قريشٍ وجُرْهُمِ

عقَّبَ نَسيبَ مُعَلَّقَتِه - الذي لا يتفرَّعُ عن معانيه ما بعد القسم - وإنما قَصَد به أنّ ما تقدَّم من الكلام إنما هو للإقبالِ على ما بعد الفاء، وبذلك يظهر تفوُّق التفريعِ الذي في هذه الآية على تفريع بيت زهير[1].

معنى (لا) في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾:

تعدَّدت آراء العلماء في (لا) الداخلة على فعل القسم ﴿أُقۡسِمُ﴾، فمِن قائل بزيادتها، ويكون المعنى: فأقسم بالخُنّس...[2]، ومِن قائل بأنها نافية؛ فيكون المعنى على ظاهره من نفي القسم بالخُنّس الجوار الكنس؛ تنزيهًا لله ﷻ أن يُقْسَم على أمرٍ لا يحتاج إلى قسَم لظهوره ظهورًا يكاد يكون بديهيًا، وهو أن هذا القرآن مِن عند الله ﷻ، نزل به أمين وحي السماء على أمين وحي الأرض، وذكر غير هذا من الأقوال، وعلى كلٍّ حال، فالمراد بها جميعًا الدلالة على عظمة هذه المخلوقات الدالِّ على عظمة خالقها ﷻ، وكذلك الدَّلالة بها على عظمة المقسم عليه، وهو القرآن الكريم، وكونه من عند الله تعالى.

عظمة المُقسم بـه يـدلُّ على عظمة المُقْسَمِ عليه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 152.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 353.

غرض القَسَم في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾ وما بَعْده:

قسمُه تعالى بما ظهر من المخلوقات قسَمٌ في الحقيقة بالله تعالى

القَسَم ﴿بِٱلۡخُنَّسِ﴾ وما بَعْده "مُرادٌ به تأكيد الخبَر وتحقيقه"[1]، والتنبيه إلى عظمة المُقسَم به والمُقسَم عليه - وهو "علوُّ سَنَدِ القرآن وجلالته، وحفظُه من كل شيطان رجيم"[2]، والأشياء التي وقع بها القَسَم تقتضي أنه "ما مِن شيء خلقه الله تعالى إلا وفيه دليل وحدانيته، وآية ربوبيته، إذا أنعم النظر فيه، ويثبت علمه وحكمته، ويدل على قدرته وسلطانه، وفي تثبيت القدرة والسلطان إيجاب القول بالبعث، وإيجاب القول بالرسل، ونهي عن عبادة غير الله، فلو أنعموا النظر فيها، وتفكروا في أمرها؛ لأداهم ذلك إلى القول بالبعث، ودعاهم إلى وحدانية الرب والإقرار بالرسل؛ فلا يدعون أن معه آلهة أخرى، ولا كانوا ينكرون البعث، ولا يكذبون الرسول، فأقسم بهذه الأشياء على التأكيد لحججه؛ ليعلموا أنه رسول من عنده، أو أن القرآن من عنده، أو أن الأوامر من عنده، أو الرسول من عنده"[3].

نكتة عَطْف القَسَم بـ (اللَّيل) على القَسَم بـ (الخنس الجَوارِ الكُنَّسِ):

التناسُب بين المعاني القرآنية دقيق وثيق

عطْف القسم بـ (الليل) على القسم بـ (الكواكب)؛ لمُناسبة جريان الكواكب في الليل، ولأنّ تعاقُب الليل والنهار مِن أجلّ مظاهر الحكمة الإلهية في هذا العالم[4].

وإلى ذلك فإنه لمّا ذكر غيابَها؛ ففُهم منه محلُّه، وهو النهار - ذَكر محل ظهورها، فأفهم الظهور، فقال: ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾، أي: الذي هو محل ظهور النجوم، وزوال خنوسها وذهاب كنوسها ﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾، أي: أقبل ظلامُه، واعتكر سوادُه وقَتامُه، فظهرت الكواكب زهرًا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 152.
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 913.
(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 433.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 154.

منثورًا في بيداء تلك الغياهب، فإن فيه نقصانًا بالظلام وغير ذلك من الأحكام[1].

نكتة التقييد بـ ﴿إِذَا﴾ في قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾:

جاء تقييد عسعسة الليل بـ ﴿إِذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ مطابَقَةً للواقع، فإن (الليل) يُعسعِس كل يوم ضِمن منظومة النظام الكونيّ المطَّرِد، بموجب قول الله تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾ [الرحمن: 5].

الظواهر الكونية المتكررة دليل على الوحدانية وعظيم القدرة الإلهية

و﴿إِذَا﴾ تتآزر مع عناصر النظم الكريم على تنبيه المخاطَبين إلى تلك الظاهرة الكونيَّة المتكررة، الدالة على عظيم القدرة الإلهية، ووجوب الإيمان بالله تعالى، والاستجابة للرسالة المحمدية.

دلالة التَّعبير بالفعل ﴿عَسۡعَسَ﴾:

معنى ﴿عَسۡعَسَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾، أي: أدْبَر، أو: أقبَل بظلامِه، قال أهل اللغة: هو من الأضداد، يقال: عسعس الليل؛ إذا أقبل، وعسعس؛ إذا أدبر[2]، وصوَّب الطبريُّ أنَّ معناه هنا (أدبر)، فقال: "والأولى بالصواب عندي قولُ مَن قال معنى ذلك: إذا أدْبَر؛ وذلك لقولِه تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾؛ فدلَّ بذلك على أن القَسَمَ بالليل مُدبِرًا، وبالنهارِ مُقْبِلًا، والعربُ تقولُ: عسْعَس الليلُ، وسَعْسَع الليلُ؛ إذا أدْبَرَ، ولم يَبْقَ منه إلّا اليسيرُ"[3].

من بديع النظم الكريم استعمال الأضداد المناسب معناها للمقام والسياق

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾:

(الواو) في قوله: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ عاطفة على جملة: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾، "عطَفَ عليه القَسَم بـ (الصبح) حين تنفُّسِه - أي:

مخلوقات الله تعالى كلُّها متعاضدة في الدلالة على عظمته سبحانه

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 286.
(2) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 431.
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 159.

انشقاق ضوئه - لمُناسبة ذِكر الليل، ولأن تنفُّس الصبح مِن مظاهر بديع النظام، الذي جعله الله تعالى في هذا العالم[1].

نكتة التقييد بـ ﴿إِذَا﴾:

الصُّبح هو طلوع الفجر، أو طلوع الشمس[2]، وتَنفُّسه انتشار الحركة وتقلُّب الأحياء فيه، وتقييده بـ ﴿إِذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ مطابق للواقع؛ إذ لا يتخلّف ذلك النظام الكوني الدقيق، كما قال تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾ [الرحمن: 5]، وفي ﴿إِذَا﴾ تنبيه على تحقق تلك النعمة الجليلة، المؤذِنة بعودة النشاط والحركة إلى أهل الكوكب مع بزوغ النهار الجديد، فينبغي للعباد أن يتنبَّهوا إلى تلك النعمة المتجددة عليهم، وأنْ يَشكروا ربهم تعالى عليها.

على العباد أن يتنبَّهوا إلى نعم الله المتجدِّدة، وأنْ يَشكروه تعالى عليها

بلاغة المقابلة:

بين قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ مقابلةٌ بديعة؛ إذ يَزيد كلٌّ معنًى منهما المقابِل له جَلاءً وبَهاء؛ إذ إنَّ طبيعةَ الإنسانِ تميل إلى التجديد، وتَملُّ تطاوُل الليل عليها أبدًا وبقاء النهار عليها أبدًا، وفي بقاء أحدهما أبدًا تفويتٌ لكثير من مصالح العباد، وفي الذِّكر الحكيم: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ۝٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٧٢﴾ [القصص: 71 - 72].

مقابلة النهار وتَنفُّسه لليل وعسعسته تَبعث في النفس تجدُّدًا وارتياحًا

فذِكْر النهار وتَنفُّسه بإزاء ذِكْر الليل وعسعسته يبعث في النفس تجدُّدًا وارتياحًا، وينبّه أيضًا إلى قدرة الخالق العظيم ﷻ، وعظيم نعمه على خلقه.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 154.
(2) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 217.

موقع جملة: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾:

من تأمّل عظمة المخلوقات؛ علم عظمة خالقها، وصدق ما أخبر به

جملة: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ جواب القَسَم المنفيِّ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾، أي: "فلا أقسم لكم بالخنس، الجوار الكنس، ولا بالليل؛ إذا عسعس، ولا بالصبح؛ إذا تنفس، بأنّ أخبار يوم القيامة وأحداثَها واقعةٌ لا شكّ فيها، وأن هذه الأخبار التي تُحَدِّثُكم عن هذا اليوم، هي قولُ رسول كريم، هو رسولُ الوحي جبريل ﷺ، بَلّغ به كلماتِ ربِّه إليه، لا أقسم لكم بهذه العوالم على وقوع هذا الخبر، فإنّه بيّن ظاهر"[1].

غرض التوكيد في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ﴾:

التوكيد منهجٌ قرآنيٌّ في انتزاع الشك وتثبيت الحقّ مكانه في النفوس

الذي اقتضى التوكيدَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ أنَّهم كانوا يُكَذِّبون بالدّين، ويُنكرون أنَّ هذا القرآن الكريم كلامُ الله تعالى، ويشكّكون في أنه نَزَل به الروحُ الأمين؛ فأُكِّد لهم الخبر بـ (إنّ)، و(اللام)، واسمية الجملة؛ معالجةً لِتلك النفوس المتمرِّدة، وانتزاعًا للإنكار منها، وذلك التوكيد من مناهج القرآن في معالجة النفوس الذاهبة عن الحق، المنكرة له.

مرجع الضمير المتصل بـ (إنّ):

إبهامُ مرجع الضمير وعدم سَبْق ذِكره يُؤْذِن بعظمته، ويُنْبئ عن خطورته

الضمير المتصل بـ (إنّ) في قول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ يعود إلى القرآن الكريم، ولم يَسبق له ذِكر، ولكنه معلومٌ مِن المقام في سياق الإخبار بوقوع البعث؛ فإنه مما أخبرهم به القرآن الكريم، وكذبوا بالقرآن الكريم لأجل ذلك[2]، أي: هذا الذي أتاكم به مُحَمَّد ﷺ تلقّاه عن رسولٍ كريم على ربِّه سبحانه، وهو جبريل ﷺ[3].

ويحتمل أن يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ﴾ للبعث والجزاء، المفهوم من قوله تعالى ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾[4].

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 16/ 1473.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 154.
(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 435.
(4) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 419.

وإبهامُ مرجع هذا الضمير وعدم سَبْق ذِكره يُؤْذِن بخطورته، ويُنْبئ عن جلاله، فإن كان مرجعُه هنا القرآنَ الكريم؛ فإنه من العظمة والجلال بمكان، وإن كان مرجعه البعثَ والجزاء؛ فما أشد خطورتهما لما يتوقَّف عليهما من تحديد مصير كلّ واحد من العباد!.

دلالة التعبير بـ (قول)، ولطيفة إضافته:

التعبير عن مرجع الضمير بالـ (قول) في جملة جواب القَسم: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ - سواءٌ كان القرآنَ الكريم أو البعثَ والجزاء - يتَّسق مع التعبير بـ ﴿رَسُولٍ﴾؛ ويتآزر معه في التأكيد على أن معاني ذلك القول من الله تعالى، وأن الرسول حامل (قول) لا يزيد فيه، ولا ينقص منه.

الرسول يُبَلِّغ رسالة الله تعالى كما هي بلا إضافة ولا إنقاص

ونُسِب الـ (قول) إلى الـ ﴿رَسُولٍ﴾ مع أنَّه قد تلقّاه من جبريل؛ لِما سُمِع منه، ولم يكن مِن قِبَله، وقد قال في آية أخرى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 6]، فسمّاه: ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 6] على الموافَقة للواقع، أو لِما أنّ ابتداءَه يَرجع إليه ﷺ، لا أنْ يكون المسموع كلامه ﷻ، فإذا قيل: هذا قول أبي حنيفة رحمه الله، وهذا قول فلان الشاعر، فليس الذي سمعتَه قولَ مَن نُسب إليه، ولكن نُسِب إليه؛ لأنّ ابتداءه يَرجع إليه، فكذلك سمي: ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 6]؛ لأنه يَدل على كلامِه تعالى، ولِما يَرجع إليه ابتداؤُه، لا أنْ يَكون هو نَفْسَ كلامه ﷻ[1].

بيان المراد بقوله: ﴿رَسُولٍ﴾:

المراد بـ﴿رَسُولٍ﴾ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ جبريلُ، نزَّله على محمدِ بن عبدِ الله[2] - عليهما الصلاة والسلام - أو المقصود به النبي ﷺ؛ لأن "الصفات التي أجريت على رسول في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ إلى قوله: ﴿أَمِينٍ﴾ غير

الرسول مبلّغ عن الله تعالى مراده إلى خلقه

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 435.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 163.

متعين انصرافها إلى جبريل، فإنها محتملة الانصراف إلى محمد ﷺ"[1].

نكتة التقييد بوصف ﴿كَرِيمٍ﴾:

وصـفُ صاحب القول يرجع إلى شرف ما جاء به

القيد بوصف ﴿كَرِيمٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يقتضي رَفْع المذامِّ[2] التي وصَم الكفار بها جبريل عليه السلام، فيُقرِّر هذا القيد "كرم أخلاقه، وكثرة خصاله الحميدة، فإنه أفضل الملائكة، وأعظمهم رتبة عند ربه[3]، وكذا يرفع القيد تلك التُّهَم التي وصفوا بها النبي ﷺ.

وأيضًا فإنّ في تعديد أوصاف ﴿رَسُولٍ﴾ تنويهًا بالقرآن، فإجراءُ أوصاف الثناء على ﴿رَسُولٍ﴾ للتنويه به أيضًا، وللكناية على أنّ ما نَزَل به صدقٌ؛ لأنّ كمال القائل يَدلُّ على صِدق القول، ومعنى ﴿كَرِيمٍ﴾ النفيس في نوعه[4]، ومن كرم الكريم هنا أنَّه يُعطي أفضلَ العطايا، وهو المعرفة والهداية والإرشاد[5].

نكتة التقييد بالوصف ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾:

أمين الوحي غير عاجز عن تنفيذ ما يُكلَّف به من ربِّه تعالى

في القيد بوصف ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ دلالةٌ على أنّ ما كُلِّف مِن أمرٍ؛ فإنّه غيرُ عاجزٍ عنه[6]، وفيه بيان الأمنِ عن تغييرٍ يَقع فيه مِن الأعداء مِن الجنّ والشياطين والإنس، يَحتجزُ عنهم بقوَّته؛ فلا يتمكَّنون منه حتى يُغَيِّروه، ويُبَدِّلوه.

أو وصفه بالقوة على التخويف والتحذير؛ للذين عادَوا محمدًا ﷺ، فيخبرهم أنّ معه مَن يدفع عنه شرَّهم وكَيدهم؛ إن همّوا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 158.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 5/ 444.
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 913.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 155.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 69.
(6) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 163.

بذلك، وقيل: المراد القوة في أداء طاعة الله تعالى، وترك الإخلال بها مِن أوَّل الخلق إلى آخر زمان التكليف، وقيل: لا يبعد أن يكون المراد قوة الحِفْظ والبُعْد عن النسيان والخلط[1].

دلالة ﴿عِندَ﴾ في قوله تعالى: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾:

جبريل عليه السلام عظيم المكانة عند الله تعالى

العِنْديَّة في قول الله تعالى في وصف الرّسول: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ ليست عنديَّةَ مكانٍ ومنزل، وإنَّما عنديةُ مكانة ومنزل، و"عندية إكرام وتشريف"[2]، وعندية تعظيم وعناية، فـ ﴿عِندَ﴾ هنا للمكان المجازي، الذي هو بمعنى الاختصاص والزُّلْفَى[3]، فلما كانت حال المكانة على حسب حال المَكين؛ قال: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾؛ ليدل على عِظم منزلته ومكانته[4].

نُكتة توسيط ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾:

جبريل عليه السلام مسدَّدٌ مِن ذي العرش ﷻ

﴿ذِى ٱلْعَرْشِ﴾، أي: ربّ العرشِ العظيم[5]، وفي توسيط قوله تعالى: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ بين صفتَي: ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾، و﴿مَكِينٍ﴾ إتاحة لأن يَتنازَعَه كلا الوصفَيْن على وجه الإيجاز، أي: هو ذو قوة عند الله تعالى، أي: جَعَل الله تعالى مقدرةَ جبريل تُخَوِّلُه أنْ يقوم بعظيم ما يوكِّله الله تعالى به مما يحتاج إلى قوة القدرة وقوة التدبير، وهو ذو مكانة عند الله وزُلْفَى[6]، وأنه مسدَّدٌ مِن ذي العرش سبحانه.

وخُصَّ من أوصاف الله تعالى ﴿ذِى ٱلْعَرْشِ﴾؛ ليدل على عِظم منزلة جبريل عند الله ومكانته؛ لأنَّ حال الشخص يتفاوت بتفاوت

(1) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 264.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 9/ 118.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 156.
(4) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 607.
(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 163.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 156.

حال مَن له عنده المنزلة، فمرتَبة مَن يُلازم السلطان عند سرير الملك مُباينٌ لِمرتبة مَن يلازمه عند الوضوء[1].

نكتة العدول عن الاسم الجليل إلى وصف ﴿ذِي ٱلْعَرْشِ﴾:

في العدول عن الاسم الجليل إلى ﴿ذِي ٱلْعَرْشِ﴾ تمثيلُ حال جبريل ومكانته عند الله، بحالة الأمير الماضي في تنفيذ أمر الملك، وهو بمحل الكرامة لديه، وهذا على القول بأنّ المقصود بـ﴿رَسُولٍ﴾ هو جبريل، وأمّا على القول بأنَّه النبيُّ ﷺ؛ فإشارة إلى عظيم شأنه؛ إذ كان ذا قوّة عند أعظم موجود شأنًا[2].

دلالة التعبير بوصف ﴿مَكِينٍ﴾:

في التعبير بوصف ﴿مَكِينٍ﴾ دلالة على أنه ذو مكانة رفيعة، وشرَفٍ عند الله العظيم ﷻ، وهو فعيل مِن المكانة[3]، وجبريل عليه السلام عند الله تعالى مطاعٌ في ملائكته المقرّبين، يَصدرون عن أمره، ويَرجعون إلى رأيه[4].

دلالة التعبير بـ ﴿مُّطَاعٍ﴾:

جـبريـل عليه السلام مـطـاع في المـلأِ الأعلى

في التعبير بـ ﴿مُّطَاعٍ﴾ إشارة إلى أنه مطاعٌ فيمن نزل عليه مِن الأنبياء[5]، وإلى طاعةِ الملائكة له، فقد أمر خازن الجنة ليلة المعراج بمحمدٍ ﷺ؛ حتى فتح لمحمَّدٍ ﷺ أبوابَها، فدَخَلَها، ورأى ما فيها، وأمَرَ خازنَ جهنم، ففَتَح له عنها حتى نظر إليها[6]، قال الحسن: فرَض الله تعالى على أهل السماوات طاعة جبريل، كما فرض على أهل الأرض طاعة محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم[7].

(1) الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 16/ 316.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 156.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 264.
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 712.
(5) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 218.
(6) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 431.
(7) خان محمد صديق، فتح البيان في مقاصد القرآن: 15/ 106.

الـكـفـار أهـل ضلال وتناقُض

دلالة التعبير بالأمانة في قوله: ﴿ثَمَّ أَمِينٍ﴾:

الأمينُ هو الذي قد عصَمه الله تعالى من الخيانة والزَّلَل[1]، فيَحفَظ ما عُهِد له به حتى يُؤدّيَه دون نَقْص ولا تغيير، وهو فعيل إما بمعنى مفعول، أي: مأمونٌ مِن أمَّنَه على كذا، وإما صفة مشبهة مِن أمُنَ - بضم الميم - إذا صارت الأمانة سجيته[2].

ففي وصف جبريل بـ ﴿أَمِينٍ﴾ دلالة على أنه أمين عندَ الله على وحيِه ورسالتِه، وغيرِ ذلك ممّا ائتمَنه عليه[3]، وأنّه يأمن الخلقُ ناحيتَه[4]، وفيه تعريض بالكافرين؛ إذ إن الملائكة يأتمنونه، ولا يتهمونه في شيء مما يجيء به إليهم، فكيف يَتهمه هَؤُلاءِ فيما يأتي إلى الرسول مِن الوحي[5]؟.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 70.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 157.
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 164.
(4) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 435.
(5) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 436.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"